صورها وما ينتج من ذلك من المزايا فان هذا بعيد عن فكري لاني لو كنت ممن لا يعبأون بالشؤون السياسية لما وجدت حيث أنا الآن . على اني قد وصلت بعد طول النظر ومحض الرأي في ذلك التغير الى اعتقاد ان ملك الاختيار لا قرار له الا في نفوسنا واننا اذا أردنا تمكين وتوطيد دعائمه في الامة وجب علينا أولا ان نؤسس أصوله في قلوبنا . اه

﴿ أمالي دينية ـ الدرس الثامن ﴾

(٢٦) الوحدانية ـ قلنا فيما سبق ان أكثر البشر متفقون على ان لهذا العالم آلهاً هو خالقه ومدبره . ونقول الآن انهم متفقون أيضا على ان هذا الخالق واحد لا شريك له في الخلق والايجاد ولا فرق في هذا الاعتقاد بين الفلاسفة الالهيين والملليين ـ كتابيين ووثنيين . وانما شذت طائفة من قدماء الفرس زعمت ان للعالم الهين أحدهما خالق النور أو الخير والثاني خالق الظلمة أو الشر والآله الحقيقي عندهم هو الاول وقد انقرضت هذه الطائفة وأراح الله الوجود من جهلها . وسائر من أشرك بالله تعالى من الوثنيين ومن تلا تلوهم من الكتابيين فانما أشركوا بعبادة ربهم غيره لشبه عنّت لهم فاخترقت قلوبهم وامتزجت بعقائدهم منشؤها ان صانع الكون وبارئه هو غيب مطلق وان النفوس لا تتوجه الا الى معروف مشهود فينبغي ان تكون وجهتها في عبادة الخالق العظيم بعض مظاهر قدرته الكبرى كالشمس والكواكب أو النار أو بعض عباده المقربين عنده القادرين على تقريب من شاؤا من جنابه واتحافهم بمرضاته وقضاء حاجهم أو تماثيلهم وصورهم عند فقدهم (راجع المقالة الاولى من عدد ٢٦ من منار هذه السنة) . وأكبر شبهة تولدت من هذه الشبهة ما ذهب اليه بعضهم من ان المذنب العاصي لا يليق به ان يرجع الى الله تعالى وينيب

اليه بنفسه طالبا العفو والمغفرة من كرمه ورحمته لانه ملوّث فلا بد له من واسطة من المقربين المقدسين يقربه الى الله زلفى ويشفع له عند الله سائلا منه ان يعفو عنه ويمنحه مايطلب ويريد . تشهد لهذا آيات القرآن الكثيرة اقرأ ان شئت قوله تعالى في مشركي العرب (ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن خلقهن العزيز العليم)وقوله تعالى (قل من يرزقكم من السماء والارض أم من يملك السمع والابصار ومن يخرج الحي من الميّت ومخرج الميت من الحي ومن يدبر الامر فسيقولون الله فقل أفلا تتقون) وفي هذا المعنى آيات كثيرة منها الآيات المتصلة في سورة المؤمنين التي منها (قل من بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه ان كنتم تعلمون . سيقولون لله . وقرأ غير أبي عمرو ويعقوب لله » قل فأنى تسحرون) . ثم اقرأ مع هذه الآيات قوله تعالى (ويعبدون من دون الله مالا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله قل أتنبؤن الله بما لا يعلم مافي السموات والارض سبحانه وتعالى عما يشركون) وقوله عز وجل (انا أنزلنا اليك الكتاب بالحق فاعبد الله مخلصاً له الدين ألا لله الدين الخالص . والذين اتخذوا من دونه أولياء مانعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى ان الله يحكم بينهم فيما هم فيه يختلفون) فالشرك بالعبادة هو الذي كان فاشياً في الامم بألوان مختلفة وأسماء متعددة وصور متنوعة فجاء القرآن ينعى عليهم هذا ويحاجهم فيه ويمحو شبههم عليه في آيات تعد بالمئات وكان هذا أهم أصول الدين وأركانه ولذلك كانت علامة الدخول فيه كلمة لااله الا الله والاله هو المعبود ولاجل هذا سمي علم العقائد توحيدا وان كانت الكتب التي بين أيدينا قلما تبحث في هذا النوع من التوحيد وما أزاله من الشرك

(٢٧) ماهي العبادة ؟ القول المشهور في تفسير لفظ العبادة انها أقصى غاية الخضوع والتذلل ولكن قال أستاذنا الاكبر مفتي الديار المصرية لهذا العهد ان من تتبع استعمال العرب في كلامهم يجد انهم لا يطلقون لفظ العبادة على الخضوع والتذلل للملوك والامراء مهما بولغ فيهما ولا يسمون تذلل العاشق المستهتر لمن يعشقه عبادة وان غلا فيه أشد الغلو وانما يخصون لفظ العبادة بالتعظيم الناشيء عن الشعور بان للمعظم سلطة غيبية وأسراراً معنوية وراء الاسباب الظاهرة وخلاف مايعهد من سائر الخلق . وللعبادة صور كثيرة أشهرها وأعمها الدعاء وطلب قضاء الحوائج التي تتعاصى على الاسباب المكتسبة فيتعذر أو يتعسر الوصول اليها ولذلك اجتمع المفسرون على تفسير ألفاظ الدعاء بالعبادة في مثل قوله تعالى (ان الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم) وقوله (قل أندعوا من دون الله مالا ينفعنا ولا يضرنا) وقوله (وان المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحداً) وفي الحديث المشهور (الدعاء مخ العبادة) . وأصل الدعاء النداء والطلب مطلقا أو مع ملاحظة استعلاء المنادى المطلوب منه واذا لوحظ معه تعظيم المدعو واعتقاد ان له سلطة غيبية وراء الاسباب الظاهرة أو طلب منه مالا ينال بالكسب كان عبادة سواء كان اعتقاد السلطة له لذاته أو لانه واسطة بين الداعي وبين الله تعالى يقربه اليه زلفى . ولا يخرجه عن معنى العبادة تسميته باسم آخر كالتوسل والاستشفاع كما هو المتبادر من القرآن الكريم واللغة العبرة بالحقائق لا بالاسماء والاصطلاحات ولا بالوساوس والخيالات .

هذا النوع من الشرك لا يكون الا مع الايمان بالله تعالى قال تعالى (وما يؤمن أكثرهم بالله الا وهم مشركون) قيل ان الآية نزلت في قول

الكتاب وقيل في غيرهم ولا شك ان أهل الكتاب قد دبت اليهم هذه العقيدة من الوثنيين الذين مازجوهم وخالطوهم ولكنهم أولوها وطبقوها على ظواهر دينهم ولن يعدموا من الكتاب آية أو اكثر من المتشابهات يستدلون بها على صحة ما ذهبوا اليه. (اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله) بمعنى انهم اعتقدوا انهم وسطاء بينهم وبين الله تعالى يقربونهم اليه ويستمطرون لهم رحمته وفضله على مافيهم من عوج وانه تعالى يدفع بهم عنهم النقم ويغدق عليهم النعم وان لم يأخذوا باسبابها الشرعية ان كانت دينية وأسبابها الطبيعية ان كانت معاشية. وليس للمعنى انهم سموهم أرباباً وآلهة أو انهم كانوا يصلون لهم أو يعتقدون انهم يخلقون ويرزقون. كلا ان هذا ما كان ولم يعهد في تاريخهم الى الآن. وكيف يسمون هذا النوع من تعظيم الرؤساء الروحيين واعتقاد الامتياز لهم عبادة وهم يقولون لا يعبد الا الله؟ أم كيف يسمونهم أرباباً وآلهة وهم يقولون لا اله الا الله؟ خصوصا اليهود منهم ولكن العبرة بالعمل والاعتقاد لا بالقول والتسمية كما علمتم آنفا ولذلك قال الله (اتخذوا) ولم يقل (قالوا) بل كانوا يتصلون من الاقوال التي تخالف نصوص الكتاب أشد التنصل ويطبقون ماهم فيه عليها ولو بتحريف الكلم عن مواضعه وحمله على غير المراد منه. وقد جاء في حديث البخاري وغيره (لتتبعن سنن من قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع قيل يارسول الله اليهود والنصارى قال فمن؟) وقد صدقت أعلام النبوة وفشا في أمتنا هذا النوع من الشرك والوثنية الذي كان فيهم حتى ان بعض الفرق منا زادت على ما كان منهم بل ومن بعض الوثنيين أيضا. اتخذوا من دون الله أولياء وبنوا لهم هيا كل في مساجدهم يدعونهم مع التعظيم والتذلل والخشوع الذي لا يلاحظون مثله في الصلاة

ويزعمون انهم يقربونهم الى الله زلفى ويقولون انهم شفعاؤهم عند الله يقضون لهم الحوائج باذنه أو يقضيها هو بواسطتهم ويقولون اننا لا نقصد بذلك العبادة يعنون انهم لا يسمونه عبادة بل انتحل له المؤلون أسماء أخرى كالتوسل والاستشفاع وهذه جناية على اللغة تضم الى الجناية على الدين . وسنتكلم على التوسل الآن ونرجئ بحث الشفاعة الى الكلام في الآخرة لانه وردانها انما تكون فيها

التسمية لا تقلب الحقائق (ان هي الا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان) ولو كانت التسمية تغير حقيقة المسمى لامكن للفقير ان يكون غنياً وللضعيف ان يصير قويا بل وللصعلوك ان يرتقي الى مصاف الملوك بكلمة يرمي بها اللسان ويكيفها الصوت .

حدثني رجل من ظرفاء النصارى في لبنان ان مسلما اسمه محمد تنصر ودخل في رهبان دير قزحيا وسمي حنا فقاجأه صوم التنحس اي الذي لا يأكلون فيه من اللحوم غير السمك ولا سمك هناك فشق عليه أكل العدس في كل يوم فأخذ ذات ليلة دجاجة من دجاج الدير ولما جنّ عليه الليل جعل يطبخها فأحس به من كان يمر عليه من الرهبان فكانوا يسألونه وهو يوارب في الجواب فتقدم واحد منهم وكشف الغطاء عن القدر وقال ماهذا (ياأخ حنا) فقال سمكة فقال الراهب انها دجاجة فقال حنا كلا انها سمكة وبعد تكرار المراجعة قال حنا للراهب وماذا يضرك لو سميتها سمكة وان كان اسمها في الاصل دجاجة فقال الراهب هذا لا يصح أبداً . عند هذا قال له حنا ماهو اسمي الآن ؟ فقال اسمك حنا فقال وماذا كان اسمي من قبل؟ قال محمد قال اذن تغيير الاسم لا يغير الحقيقة وأنا مسلم أشهد أن لا اله الا الله وأشهد ان محمداً رسول الله وأكل الدجاجة وانصرف من الدير في صبيحة تلك الليلة

(٢٨) بطلان هذا الشرك ـ يعرف بطلانه بالعقل والنقل أما العقل فانه لما نظر في هذه الاكوان البديعة النظام ولم ير منها شيأ يمكن ان يضاف اليه الايجاد والاحكام ولا يمكن ان يكون من قذفات المصادفة والاتفاق ـ علم ان مصدر الابداع والاتقان قوة غيبية فمن ذلك المصدر كل شيء « قل كل من عند الله » (صنع الله الذي أتقن كل شيء) وهو المنفرد بالايجاد والامداد وانه هو (ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى) ثم حكم بانه حيث كانت القوة الغيبية التي هي وراء الاسباب الظاهرية له وحده والسنن الطبيعية والقوى الكسبية منه فلا يتأتى وجود شيء من غير سببه الا منه ولا يجوز ان يخضع احد لاحد خضوعا عن شعور بسلطة غيبية (وهو العبادة) الا لله وحده فيجب ان يخص بهذه العبادة وان يشكر على نعم الايجاد والامداد بعبادات أخرى . هذا مايحكم به العقل السليم وقد نطق به بعض الحكماء وغفل عنه اكثر البشر ولذلك احتيج في بيانه الى الدين . وأما النقل فقد أوضح هذا اكمل الايضاح فان القرآن ينادي بلسان عربي مبين بان هذا دين جميع النبيين « وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين » وقال تعالى (وما أمروا الا ليعبدوا الها واحدا لااله الا هو سبحانه وتعالى عما يشركون) وهذا تتمة آية (اتخذوا أحبارهم ...) المتقدمة والآيات في هذا المعنى كثيرة وهي مصرحة بان جميع الذين كانوا يدعون وتطلب منهم الحوائج ـ ومنهم الانبياء والملائكة ـ لا يملكون لانفسهم ضرا ولا نفعا فضلا عن غيرهم اقرأوا ان الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم * والذين تدعون من دونه مايملكون من قطمير . ان تدعوهم لايسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ماستجابوا لكم ويوم القيامة يكفرون بشرككم ولا ينبئك مثل خبير) وقد أمر سيد الانبياء بهذا

البيان (قل لاأملك لنفسي نفعا ولا ضراً الا ماشاء الله (١) ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء ان أنا الا نذير وبشير لقوم يؤمنون) فحصر الله وظيفته بالانذار والتبشير ومثل هذه الآية قوله تعالى (قل اني لاأملك لكم ضراً ولا رشداً .(٢) قل اني لن يجيرني من الله أحد ولن أجد من دونه ملتحدا (٣) الا بلاغا من الله ورسالاته) واذا كان لا يملك للناس الرشد والهداية التي هي أثر وظيفته ـ التبليغ ـ فكيف يملك لهم الضر والنفع والعطاء والمنع ؟ « انك لاتهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء » ليس عليك هداهم ولكن الله يهدي من يشاء » (٤) وكما أنزل عليه هذا وما في معناه كقوله (وما أرسلناك الا مبشراً ونذيراً . ان عليك الا البلاغ) أنزل عليه في شأن المرسلين عامة (وما نرسل المرسلين الا مبشرين ومنذرين) قال البيضاوي في تفسيرها وما نرسلهم ليقترح عليهم ويتلهى بهم (فمن آمن وأصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون)

فهذه الآيات المحكمة التي جاءت بصيغة الحصر نصوص قاطعة على ان وظيفة الانبياء عليهم الصلاة والسلام التبليغ عن الله تعالى فقط ولم ترد آية واحدة تصرّح بانهم وسطاء بين الله تعالى وبين خلقه فيما عدا هذا كدفع الضر وجلب النفع وتوسيع الرزق والتأثير في قلوب الخلق ونحو هذا مما يطلبه

---

(١) قوله الا ماشاء الله معناه تأييد النفي ومثله قوله تعالى سنقرئك فلا تنسى الا ماشاء الله . وقوله خالدين فيها مادامت السموات والارض الا ماشاء ربك . وقوله (قال النار مثويكم خالدين فيها الا ماشاء الله)

(٢) في الآية احتباك أى لاأملك لكم ضرا و لا نفعا ولا رشدا ولا غواية اوضلالة فحذف من كل ماأثبت مقابله في الآخر (٣) اى ملتجأ (٤) الهداية هنا بمعنى جعل الانسان مهديّا بالفعل واطلاق بمعنى الدلالة ومنه (وانك لتهدي الى صراط مستقيم)

المنحرفون ممن دونهم كالاولياء بل الآيات نفت هذا صريحا كما ذكرنا آنفا وعليه كان الصحابة والسلف الصالح لاسيما بالنسبة للاموات الذين ينقطع كسبهم بالموت . ولو فرضنا انه ورد في الكتاب أو السنة شيء ينافي ظاهره هذه النصوص القطعية التي هي روح الدين لكان يجب علينا ان نعده من المتشابه وقد علمتم حكم المتشابه في الدرس الماضي . على اننا ـ مع عدم ورود هذا ـ قد بلينا بقوم يحرفون الكلم ويفسرون القرآن برأيهم فروّجوا على الناس هذا الشرك بتسميته توسلا وتسمية الاولياء وسيلة والوسيلة مطلوبة بقوله تعالى (وابتغوا اليه الوسيلة) وانما فسر أئمة الدين الوسيلة بالايمان والعمل الصالح وهو تفسير يشهد له القرآن كله وهذه الوسيلة مطلوبة من الاولياء والانبياء كغيرهم وأنا أتلو عليكم في هذا آيتان كريمتان مع تفسير البيضاوي لهما وهما (قل ادعوا الذين زعمتم) انهم آلهة (من دونه) كالملائكة والمسيح وعزير (فلا يملكون) فلا يستطيعون (كشف الضر عنكم) كالمرض والفقر والقحط (ولا تحويلا) ولا تحويل ذلك منكم الى غيركم (أولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة) هؤلاء الآلهة يبتغون الى الله القربة بالطاعة (أيهم أقرب) بدل من واو يبتغون أي يبتغي من هو اقرب منهم الى الله الوسيلة فكيف بغير الاقرب (ويرجون رحمته ويخافون عذابه) كسائر العباد فكيف تزعمون انهم الهة (ان عذاب ربك كان محذورا) حقيقا بان يحذره كل احد حتى الرسل والملائكة اه

حدد الله وظيفة رسله فليس لنا ان نعطيهم زيادة عما أعطاهم الله وقد أخبرونا عنه بانه اقرب الينا من حبل الوريد فليس لنا ان نجعل بيننا وبينه واسطة في غير تعليم دينه فلا ندعوا غيره لانه قال (فلا تدعوا مع الله أحدا) ولا نستعين الا به لاننا نناجيه كل يوم بقوله (اياك نعبد واياك نستعين) .

اما تعظيم أولئك المرشدين من الانبياء وورّاثهم فانما يكون بما اذن الله تعالى به من الاقتداء بهم والصلاة عليهم والدعاء لهم وأما زيارة القبور فانما اذن بها النبي صلى الله عليه وسلم بعد المنع منها للاعتبار بالموت وتذكر الاخرة كما هو مصرح به في الحديث الشريف هذا هو دين الله تعالى (فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا)

الأخبار السنية

المنار والمناظر

جاءتنا جريدة المناظر الغراء من أشهر مكتوبا على غلافها كلمات يطلب بها كاتبها الفاضل منا العود الى تلك المقالات الوطنية الضافية لاسيما التي تؤلف بين قلوب العناصر المختلفة في الوطن وتحثهم على التضافر والاتفاق على خدمته واعلاء مناره . فعزمنا على المجاوبة ثم نسيناها لأن الورقة فقدت من بين أيدينا ثم جاءنا في هذه الايام العدد ٣٩ من هذه الجريدة ينتقد علينا بان مواضيع الجريدة كلها دينية وانه ينبغي ان نكتب (جريدة دينية) بدلا من (علمية أدبية تهذيبية اخبارية)

ونقول في جواب رصيفنا الفاضل أولا اننا كنا نكتب تلك المقالات عند ما كان المنار منتشرا في سوريا يقرأه المسلمون والنصاري واليهود فلما طال امدمنعه من ولايات الدولة العلية وانحصر قراؤه في مسلمي مصر وتونس والجزائر ومراكش والهند والجاوه وفي نفر قليل من بني وطننا السوري في أميركا وغيرها اضطررنا الى جعل اكثر ارشاداته اسلامية ووجدنا الرغبة من القراء قوية جدا في المواضيع الاسلامية الاصلاحية التي نكتبها حتى اننا لم نكد نكتب في موضوع منها الا عن اقتراح من أحد الفضلاء أو من غير واحد منهم . على ان من رأينا الذي يوافقنا عليه كثير من العقلاء المسلمين والمسيحيين ان فهم الدين على وجهه الحقيقي الذي نشرحه في المنار هو الذي يطفئ من النفوس نائرة الغلو في التعصب ويقف بها عند حدود الاعتدال في المعاملة مع البعيد